

الحلقة الثانية عشرة

من كتابات الرسل الأوائل

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي بعنوان: من كتابات الرسل الأوائل. لقد دوّن رسل المسيح الأوائل رسائل عديدة، شرحوا فيها الحقائق والتعاليم المسيحية، كما وضعوا لجماعة المؤمنين أسس ومبادئ السلوك المسيحي.

كل منّا أعزائي يفرح كثيراً عندما يحصل على هدية، ويُسر عندما ينال جائزة من أي نوع كانت. وكل منّا يتمنى أن تأتيه يوماً ما هدية أو جائزة. وتكون المفاجأة أكبر والفرح أعظم عندما يأخذ المرء الهدية بدون أي استحقاق منه، أي بدون أي مقابل أو جهد بذله أو عمل قام به. قد تتساءل مستمعي وهل هذا ممكن أن يحصل الإنسان على هدية دون أي مقابل، وهكذا مجاناً؟ لكي نوضح الأمر نعود إلى ما كتبه الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل، إذ كتب إلى المؤمنين في كنيسة مدينة أفسس بآسيا الصغرى أي تركيا اليوم، كتب قائلاً:

«وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلَ حَسَبِ دَهْرِ هَذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَيْسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الْآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ... اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ، بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ، وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجَلَسْنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِيُظَهَرَ فِي الدُّهُورِ الْآتِيَةِ غَنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقِ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. لِأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلًا يَفْتَخِرُ أَحَدٌ» (الرسالة إلى أفسس ٢: ١-٢، ٤-٩). أجل، إنها حقائق عظيمة كشفها لنا الرسول بولس في هذه الآيات المقدسة. أن يحوز الإنسان الخاطيء على نعمة الله أي هباته العظمى بالرحمة والغفران، بمجرد الإيمان فقط بالمخلص المسيح. سنتأمل الآن أعزائي بهذه الآيات المعبرة فابقوا معنا.

مستمعي الكريم، لقد وصف الرسول بولس أولاً الوضع السابق للمؤمنين بالمسيح المخلص. فقال لهم: «وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا» هذه حالة كل إنسان خاطيء، فهو ميّت بالذنوب والخطايا، أي مستعبد للخطية، ولا يستطيع إلا أن يفعل الشر، لأن إرادته ميتة، وهو في حالة انفصال تام عن الله. وهذا ما أكّده الرسول بولس عندما تابع قائلاً عن الخطية التي تتحكّم بالإنسان: «الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلَ حَسَبِ دَهْرِ هَذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَيْسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الْآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ».

إن الإنسان الخاطئ يسلك بحسب قوانين ومفاهيم هذا العالم الروحي الشرير، الذي يقوده إبليس. وكما نعلم فإن هذه هي حالة جميع البشر، فهذا هو الروح الفاسد الذي يعمل في حياتهم كأبناء للمعصية، أي أبناء للشر والفساد. فالرسول بولس يؤكد هنا أن المؤمنين بالمسيح سبق لهم أن كانوا أمواتاً بالذنوب والخطايا، ويسلكون في طرق الشر كباقي البشر الخاطئة المستعبدين، ويستحقون بالتالي دينونة الله.

لكن، ماذا حصل لهذه المجموعة من المؤمنين بالمسيح؟ أجابنا الرسول بولس قائلاً: «اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ، بِالنَّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ». إن الله هو غني في الرحمة، أي أن رحمته واسعة وشاملة وتصل إلى كل الناس الخاطئة. وليس هذا فحسب بل أن الله أحبَّ البشر جميعاً محبة عظيمة وعميقة، حتى أنه أرسل المسيح لكي يموت على الصليب نيابة عنا نحن البشر الخاطئة، آخذاً عقاب خطايانا. وهذا ما أطلق عليه الرسول بولس وصف النعمة، أي هي هدية مجانية يقدمها الله لكل من يؤمن. وهذه الهدية هي خلاص الله المجاني الكامل.

ولهذا قال الرسول بولس للمؤمنين بالمسيح: «بِالنَّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ». أي أن خلاصكم قد تمَّ لأنكم قد قبلتم نعمة الله أي هديته العظمى لكم. فبالرغم من كونكم أمواتاً بالخطية، لكن الله بسبب غناه في الرحمة، ومحبتته الكثيرة التي أحبكم بها من خلال المسيح قد أحياكم من عبودية الخطية مع المسيح الحي المقام.

وتابع مستمعي الرسول بولس قائلاً: «وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجَلَسْنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِيُظْهَرَ فِي الدُّهُورِ الْآتِيَةِ غَنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقِ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ». إن الله بعدما أحيانا المؤمنين بالمسيح من الموت الروحي، أقامهم أيضاً مع المسيح المقام، أي أعطاهم حياة روحية جديدة. إن المؤمن بالمسيح يتحد معه روحياً، ولهذا يقوم معه روحياً ويجلس معه أيضاً في السماويات، أي في مركز الغلبة والانتصار الروحي. لقد أصبح المؤمن بالمسيح في وضع جديد تماماً بعلاقته مع الله، فهو أخذ طبيعة روحية سماوية جديدة لكي يغلب الشر ويعيش حياة القداسة، ويسلك في طريق الصلاح والخير.

وسيطهر الله في الأبدية ويعلن مدى غنى نعمته الفائقة التي تجلَّت في عمل الفداء الذي قام به المخلص المسيح، ومنحه الغفران لكل من يؤمن. ولهذا عاد الرسول بولس ليؤكد للمؤمنين بالمسيح: «لأنكم بالنعمة مخلصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كَيْلاً يفتخر أحدٌ». إن كلمة نعمة تعني هبة مجانية تُعطى لشخص لا يستحقها. ولهذا يؤكد الرسول بولس هنا

للمؤمنين بالمسيح أن خلاص الله الذي نالوه قد حصلوا عليه بواسطة نعمة الله المجانية التي لا يستحقونها كبشر خطاة. وأن هذه النعمة قُدمت لهم كعطيّة مجانية من الله، وليس لأي صفة أخرى تتعلق بهم. وإن هذه النعمة المجانية بالخلاص الأبدي الكامل قد حصلوا عليها بالإيمان فقط، أي عندما آمنوا بالمخلص المسيح، وليس نتيجة أي عمل صالح قاموا به. فلكي يحصل الإنسان الخاطئ على نعمة الله بالخلاص، عليه أن يؤمن فقط بالمسيح المخلص الذي أتمّ عمل الفداء على الصليب من أجله.

ألا تود مستمعي أن تحوز على نعمة الله العظمى بالخلاص؟ ألا ترغب أن تحصل على أعظم هديّة مجانيّة في الوجود؟ ألا وهي هدية الخلاص المجاني من عبودية الخطية، وأن تصبح من أولاد الله الذين نالوا الغفران والحياة الأبدية؟ لم لا تؤمن الآن بالمسيح المخلص الذي أعلن لك محبّته بموته الكفاري من أجل خطاياك على الصليب؟